

## الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي بتوات وتيدكلت والتدكلت (دراسة موضوعاتية)

د. رمضان حينوني

مخبر دراسة الموروث العلمي الثقافي لمنطقة تماراست

المركز الجامعي لتامنغست

### ملخص:

[ تتناول هذه الدراسة الموجزة صدى الثورة التحريرية الكبرى في الشعر الشعبي بمنطقتي توات وتيدكلت بالجنوب الجزائري، والجوانب التي التفت إليها ثلاثة شعراء نظموا في ثورة بلدهم عموما وفي الأحداث التي عاشها هذا الجزء من وطنهم، فلفتوا الانتباه إلى كون الثورة لم تترك مكانا في مساحة الجزائر الشاسعة إلا وسجلت فيها حدثا أو سلسلة أحداث كان لها دور في اقتناع المستعمر بضرورة الانسحاب. كما تبين الشبه بين الشعر الفصيح والملحون في كثير من الجوانب أهمها المعجم والصورة. الكلمات المفتاحية: شعر شعبي - ثورة التحرير - الجنوب الجزائري - الاستعمار الفرنسي.]

### تمهيد:

تحتل الثورة التحريرية حيزا مهما في الشعر الشعبي الجزائري، وليس ذلك غريبا طالما أنها تركت أثرها في الذاكرة الشعبية بطريقة تلقائية، قبل أن تتركه على مستوى التنظير والتأويل. ولقد تغنى الشاعر الشعبي بها باعتبارها مخلصا من حقبة مريرة وبابا للأمل والعيش الكريم.

وعلى غرار شعراء الفصحى الذين أتحفوا القارئ بقصائدهم من أمثال مفدي زكريا وصالح باوية والشيخ سحنون وغيرهم، فقد مضى شعراء الملحون في

نظم القصائد التي تخلد أهم ذكرى وطنية عند الجزائريين سواء أكان ذلك بمناسبة انطلاقها أم بمناسبة الاستقلال الذي حققته بعد سنين الجمر والدم. وقد اختارت الدراسة ثلاثة من الشعراء (التدكلت)<sup>1</sup> استطاعوا أن يرسّموا صورا جميلة عن ثورة بلدهم بالكلمة الشعرية الشعبية، وإن كان اختيارهم لا يعني أنهم وحدهم في ساحة الشعر في جنوب الجزائر، فهناك من الشعراء الكثير في الجهات المختلفة من هذه المساحة الصحراوية الكبيرة، وإنما أردنا عينات نستطيع من خلالها بيان حجم الاهتمام بالثورة وأحداثها على الرغم من تباعد السنين وتغير الظروف.

ولم نقصد بهذه الدراسة وقوفا على الجانب الفني للقصيدة الشعبية، ولا على الجانب الإيقاعي الغني فيها، وإنما عمدنا إلى الجانب الموضوعاتي الذي نريد من خلاله الإشارة إلى الرسائل التي يرسل بها الشاعر إلى القارئ في ظروف سياسية واجتماعية مختلفة، وبخاصة أن المنجز الثوري الذي تتحقق في زمن معين عادة ما يتأثر بالتغيرات الطارئة في الأفكار والقناعات والاهتمامات في أزمنة لاحقة بدرجات متفاوتة، فيدفع ذلك بعض شرائح المجتمع كالشعراء مثلا إلى محاولات إحكام ربط الأجيال إلى ماضيها بكل ما أوتوا من بيان وتأثير.

### ثورة التحرير في الجنوب الجزائري:

إذا كان المواطن الجزائري في الصحراء بسيطا في عيشه، مسالما في طبعه، فإن الحملة الاستعمارية التي زحفت إلى مناطقه قد أخرجته عن صمته ودفعته إلى الاقتداء بأبطال الأوراس والمناطق الأخرى الذين فجروا المقاومات والثورات، فكانت ثورة الشيخ بوعمامة في منطقة البيض مثلا حيا لعموم الإحساس بضرورة اتحاد الشعب الجزائري لتحرير أرضه واسترجاع كرامته.

ولم يكن أقصى الجنوب مختلفا عن غيره من المناطق في الروح الثورية ضد المحتل الفرنسي، فقد عرف سلسلة من الأحداث الخطيرة جعلته في الواجهة،

وخصوصا ما تعلق منها باقتراح فصل الصحراء عن جسم الجزائر، والتفجيرات النووية التي خلفت آثارا مدمرة على البيئة والإنسان ما زالت آثارها ماثلة للعيان. ويذكر الأستاذ الهادي الحسيني عن مصادره أنه في بداية القرن العشرين، وبالتحديد في الخامس من يناير 1900 قام نحو 1300 من الدغامشة بإمكانات بسيطة بمعركة ضارية مع العدو الفرنسي بقودهم إيمانهم يقدرتهم على الدفاعهم عن أرضهم. وعلى الرغم من انعدام التكافؤ في العدد والعتاد إلا أنهم واجهوا عدوهم معتبرين الانسحاب توليا يوم الزحف فاستشهد منهم جمع كبير؛ بل إن شاعرهم عبد النبي بوتقي يرد على ناصحيهم بعدم المغامرة في دخول المعركة بقوله:

نصحتونا صحيح ونصيححتكم عار وعيب لو كان من "البركة" ولينا..<sup>2</sup>

ولقد أدى الشعراء والمثقفون دورهم كاملا بجانب السياسيين والمجاهدين في جبهات القتال بالوسائل التي أتاحتها ظروفهم، وجددير بنا أن نتوقف تمثيلا لذلك على البيان الثوري المشترك للمجاهد محمد جغاب والشاعر التومي الحاج سعيدان الذي جاء فيه:

(( لقد بدأ طريق الحرية إلى غايته فامضوا معه، واندفعوا إلى نهايته، فنحن في حاجة إلى كفاح آخر، كفاح أقوى وأروع من كفاحنا القديم، كفاح مع أنفسنا كفاح مع الخونة والمغرضين، ومع كل رأس يحاول أن يتعرض للطريق، طريق الثورة المباركة، فإن الفقر والجهل والمرض كلها مخلفات ورثها إيانا استعمار زائل وعهود فاسدة، وحكام أبالسة.

نحن في حاجة إلى أكثر من هذا، فعلينا أن نؤمن بأننا في بداية الطريق، علينا أن ننسى كل شيء ولا نذكر إلا الجزائر وحرية الجزائر ومستقبل الجزائر، إن الثورة تركز اعتمادها على شعب يثق فيها ويطمئن إليها.

إن الثورة بعد عامين من ميلادها تقول لكم: إنها ثورتكم.. إنها صوتكم وذراعكم.. إنها أنتم.. فقفوا معها، وسيكتب الله لبلادنا مجدا لا يبلى وعزة لا تزول))<sup>3</sup>

إن هذا البيان الصادر سنة 1957 يحمل من الحماسة للثورة والدعوة إليها ما يعزز الشعور أن الشعب الجزائري احتضن ثورته في قوة، وأن الذين فجرها كانوا يدركون أن عمومها التراب الوطني مسألة حتمية ولا تتطلب كثيرا من الوقت لينخرط فيها الجميع كل بوسيلته المتاحة.

وغني عن البيان أن اقتراح فصل الصحراء عن جسم الوطن الأم وبقائها تحت السيادة الفرنسية قد لاقت معارضة شديدة من لدن أعيان وعقلاء المنطقة، وهم القادة الاجتماعيون والسياسيون في ذلك الوقت، وهذه أكبر صفة وجهها الشعب الجزائري في جنوب الوطن للعدو الفرنسي، بدءا من قانون 10 يناير 1957، وانتهاء بمظاهرات 27 فبراير 1962 بورقلة.

في هذه الفترة حاول الفرنسيون استمالة بني مزاب في شخص الشيخ إبراهيم بيوض لتأييد المشروع دون جدوى، وكذلك الحال مع الحاج "باي أحاموك" في تمناست الذي أغرته سنة 1960 بأن يكون سلطانا على الصحراء مقابل تأييد الفكرة فرفضها، بل ورفض مجرد مناقشتها.<sup>4</sup>

إن استنطاق التاريخ الجزائري يوصلنا إلى حقيقة مفادها أن معاناة هذا الشعب وحجم تضحياته لا بد أن تصدح بها الحناجر أدبا وإبداعا.. فالكلمة ظلت رديف النضال منذ غابر السنين، والشاعر في الجنوب الجزائري فصيحاً كان أم شعبياً لم يفوت فرصة التعبير عن هذا التاريخ المميز لأمة واجهت قوة عالمية كبرى، فكانت الثورة التحريرية المحور البارز الذي نبهه خالصا في قصائد، وجزئيا في أغراض الشعر المختلفة .

### شعراء أقصى الجنوب والثورة:

#### 1- التومي الحاج سعيدان<sup>5</sup>:

لا يذكر شاعر في أقصى الجنوب الجزائري قبل اسم التومي الحاج سعيدان، الذي رأينا بيانه المشترك آنفا، ففي ديوانه تتفجر الروح الوطنية الأصيله، ليس فقط تمجيدا للثورة التحريرية بل أيضا تنويها بالدور الذي يجب أن يؤديه الجزائري في

الحفاظ على اللحمة الوطنية كأبرز مظاهر أهداف الثورة بعد سني البؤس التي عاشها. وخصوصا في قصيدته "تحقيق حلم"<sup>6</sup> التي تتكون من ثمانين بيتا، يستعرض فيها أجماد شعب أبي عرف طريقه، ويدعو الجزائري في الجنوب للالتحاق بالثورة بعد سنتين من انطلاقتها بقوله:

يا صحراوي شوف حال جيشك يضر  
وانت راقد عار كي الذمي تتقول  
تتلقى الاخبار تصوط وتزيد اتكرر  
سوس الغيرة خير كون واعى متعقل  
عام ونصف الشعب قال شاهي يتحرر  
وانت رازح فيق حالتك ما تتحول  
الشبان جميع شوف عنك تتحير  
جاوبهم بالكلام قول لهم نا نخصل  
اصلي عربي وجنسنا بيه نتفخر  
ديني مسلم ما نجهه يتبدل

والقارئ شعر سعيدان يلحظ فكرا سياسيا ناضجا محيطا بأهم الأحداث التي ارتبطت بالثورة الجزائرية قبل وبعد انتصارها، وهو ما يعني أن شعره الثوري ليس ناتجا عن إحساس عاطفي فحسب، بل عن وعي بكيفية انتصار الثورات خصوصا عندما يربط الثورة بالبعد القومي العربي والبعده الإسلامي والإقليمي.

يقول في قصيدة "مغذي الأرواح ومسلي الأشباح"<sup>7</sup>

وانشوفوا البلاد لا بد تتحرر  
وتتعلم حتى علم الطيراني  
تونس في جنبك هي تتحرر  
والمغرب هو يعااون عيناني  
الجزائر يا لحو تدخل خطر  
لا تتبع لا قوال وافهم المعاني  
ربي تستر بالله أنت القادر  
تفرحو جميع ويبرى من انكسر  
شوفوا شوفوا جيشنا قائد ماهر  
قسموا جاء فالطاكتيك ردع الغواني  
لا تنسوا بن بولعيد أكريم وحر  
سبل مالو على جيش الوطناني  
والزعماء كاملين أصحاب الفكر  
انصرهم يا خالقي يا فوقاني  
والمؤيدين احفظهم يا قادر  
وأعمي عنهم بالله حزب الخسراني

وإذا كان التومي سعيدان قد انفرد بمعايشة الثورة والمشاركة فيها مما حول له تبوء المكانة المتميزة بين شعراء الملحنون في المنطقة، فإن شعراء ما بعد الاستقلال

بدورهم احتفوا بثورة آبائهم وأجدادهم واعترفوا بجميلها وفضلها على عموم الشعب الجزائري.

## 2- عبد الله برمكي<sup>8</sup>:

يزدان شعر عبد الله برمكي بمجموعة قصائد في الثورة الجزائرية وأجماد الجزائر، وهو مثل غيره من الشعراء سكنهم حب الجزائر، ودفعهم للقول في مختلف الجوانب التي تفي هذا البلد حقه من الاحترام والإجلال، ويتناص شعره بالتالي مع شعر مفدي زكريا ومحمد العيد وغيرهما في إشادته بالثورة، وهو ما يعني أن شعراء الجزائر منذ الاستقلال يلتزمون بثابت شعري" لا يخرج عن العقيدة الإسلامية المؤيدة بلغة خاصة، وبوطن ذي ثوابت جغرافية وتاريخية معبنة، وبالثورة التحريرية الكبرى كفعل إيجابي، وبالشهيد كنموذج رائع لا تكون القدوة إلا به".<sup>9</sup>

ففي قصيدته "مسيرة حب"<sup>10</sup> يعدد الشاعر خصال الجزائر بما يجعلها مطلع المعجزات وحنة الله في أرضه بتعبير زكريا، فيقول:

الجزاير يا غالية يا عين الحب	يا منبع للود يا ملقى لحباب
الجزاير يا كون ربي فيه كتب	وزرع فيها حب لماليها طاب
الجزاير بالنيف دالوطن تلقب	خرجو منو رجال ميزتهم للاقاب
خرجو منو رجال للسلم وللحرب	كانو هممة وشان خيالة تنهاب
الجزاير ف كل مضرب كاين قطب	الجزاير يا بر عمرتو الأقطاب
الجزاير يا أرض لعجام ولعرب	ف الصحرا والتل كان الحب سباب

إن المحبة التي يتحدث الشاعر عنها هي أهم خصلة جمعت شمل هذا الشعب ماضيا وحاضرا، وهي الكفيلة بإدامة وحدته مستقبلا؛ لهذا يحتفي الشاعر بستينية الثورة التي صنعت هذه الوحدة الوطنية، فيقول:

نوفمبر لباه دالشعب تجاوب	ديك الليلة دعاه والرب ستجاب
ديك الليلة سابقة في علم الرب	صبح النصر وحاه للجزائر جاب
عطاها شهيد روحو فيها دب	خلها حياة لينا كيما حاب

الجزائر ستين سنة عمر الحب	ما يتساوم حبها مافيه عتاب
الجزير يا دم فعروقي يسرب	نتنفس من روحها طيبة وطياب
الجزائر ياروح فينا تششب	ستين سنة حبها مزال شباب
ستين سنة عز عشاها مكسب	خيرم قرن وفات فالضلم ولعداب
ستين سنة عزها مزال يصب	مزنو فوق سماء الجزائر صباب

هذه الحقائق التي يدركها كل جزائري في بيته أو بجواره ذكرى مجاهد أو شهيد، تدفع الجزائري إلى التمسك بالذاكرة الوطنية الحية، على الرغم من تقادم العهد وتبدل الظروف وزحف العولمة التي جعلت العالم يتوجه صوب المادة والمستحدثات التكنولوجية مستهيناً أو يكاد بكل الخصوصيات التاريخية والثقافية لشعوب صنعت مجدها بتضحياتها الجسام. وفي هذا الإطار تأتي قصيدة "حتى لا ننسى"<sup>11</sup> لتبقى مهابة الثورة ومجرياتهما حية في قلوب الجزائريين، فيقول:

سال الدم ودمنا ياسر طاهر	شربت منو أرضنا ونبت شجر
ونبت بالبارود فارض الجزائر	وقال الحق يعود لا بدا يظهر
بهت قاع الناس والعالم حأير	في ثورة محال ها لا تتكرر
في ثورة مزال بيها نفتاخر	ثورة لتاريخ لليسوم تندكر
سبع سنين ونص بارودو زاهر	قرر به الشعب مصيرو قرر
سبع سنين ونص جات البشاير	هلت فوق سماء الجزائر لخبر
عزتنا ولات بالدم الشاير	ورجعنا لبلا دنا عز مئزر
راها فيه اليوم تعيش الجزائر	ويعيشو فيه ولادها كبار ومصغر

ومثل ذلك نجد في قصيدة أخرى بعنوان "روح ورياح"<sup>12</sup> يقول فيها:

تاريخك يازايخة كتبوه صحاح	باين في بارودهم من نيرانو
سبع سنين ونص حصدت م لرواح	سبع سنين الدم جاري ويدانو
سبع سنين عناد لعدوهم كفاح	سبع سنين ونص رجالة كانو
سبع سنين ونص ماحطوش سلاح	ماملو كيفاحهم زاد إيمانو
ما ملوش رجال كلمتهم تقساح	كلمتهم بارود عالي دخانو

كلمتهم رصاص من جعبتها طاح صور الروم ولا تلا في بيانو  
 رجالة يا صاحبي ميزة وقحاح وصلو قصر الروم نحو بيانو  
 هذا التوصيف سمة شعر ما بعد الاستقلال عموما، وبما أن شعراء  
 الاستقلال في أغلبهم لم يشهدوا ثورة التحرير الكبرى، فقد انطلقوا في شعرهم من  
 مبدأ التفاخر بالإيجاز الذي استوحوه من قوة العدو الفرنسي في تلك الحقبة؛ فبقدر  
 ما يكون العدو عاتيا وعصيا على الهزيمة تكون هزيمته مبعث تعظيم، يستخدم فيه  
 الشاعر معجما فخريا تكلمه ألفاظ من قبيل ( بارود - دم - نائر - محالها تتكرر -  
 نيران - سلاح - رصاص...).

إن الفخر بثورة الآباء والأجداد تذكر الأجيال الجديدة بحجم التضحيات  
 التي بذلوها في سبيل عزمها ورفاهيتها، والرسالة الموجهة إلى الشباب من خلال ذلك  
 مفادها أن الحرية التي تحققت على دماء وأشلاء الجزائريين هي دعوة للشعب إلى  
 اليقظة والاتحاد والتكاتف للحفاظ على المنجزات، والاستفادة من دروس الماضي  
 لبناء الحاضر، يقول الشاعر في " رسالة الأبطال"<sup>13</sup>:

يرحم من ضحاو جابو الإستقلال	رفعو عز بلادنا فوق تعالة
أخضر وبيض طابعو نجمة وهلال	بدم الشهداء ونيف الرجالة
خلد ياتاريخ ليهم فالاجيال	ودي للأجيال عنهم رسالة
خبرهم اجيلنا عل الأحتلال	وخبرهم على سنيو المحتالة
قرن وسنوات غطا نا لكحال	قرن وسنوات ضنك وعكالة
قرن وسنوات شفنا الويل شكال	وماريناش نهار واحد بسهالة
شفنا قاع سنينا حنظل وذلال	ورقابينا فيد لعدو مغولة
وما لينا في قوتنا حتى مثقال	ومالينا في أرضنا اليد الطولة
كنا محتلين بصيغة الإستغلال	ساءت لينا فرانسا المعاملة
ها نتنا فد يارنا هانت لقلال	تشرينا من بعضنا بالعمالة



وبين الفخر والذكرى يظل المشهد الثوري يظلل الجزائري أينما اتجه، فذاكرته تقوده في مساره الطويل نحو البناء، وتشكل فيه نوعا متميزا من السلوك الذي يحصنه ضد بيع كرامته تحت أي ظرف، كما تدفعه إلى احترام نضالات الآخرين الذين يرى أنهم يستنسخون تجربته بشكل أو بآخر، كما كما استنسخ هو تجربته من سابقه.

### 3- البشير مسعودي<sup>14</sup> والحماسة الثورية:

يخصص البشير مسعودي للثورة الجزائرية حيزا مهما ضمن مجموعتيه الشعريتين، وهو ابن الاستقلال وعيا وإدراكا؛ فتماشيا مع الجو الثوري الذي ساد الجزائر في العقود التالية لاستقلال الجزائر، والأحداث المختلفة التي عاشتها، والتقلبات التي انعكست آثارها السلبية على المواطن في السنين الأخيرة، نظم الشاعر جملة من القصائد التي أراد بها توجيه جملة رسائل إلى أبناء وطنه محذرا في غالبها من مغبة نسيان الماضي وما حمله من معاناة. لهذا بإمكاننا الوقوف على خطابين ثوريين في شعر مسعودي:

الأول: يخصصه للثورة وما جرى فيها من أحداث، وفي هذا الشعر لا نجد يختلف عن التومي سعيدان مثلا أو حتى شعراء الفصحى الذين تغنوا بثورة التحرير الكبرى؛ ويمثلها قصيدة " ثورة التحرير " المتكونة من واحد وستين بيتا، وقصيدة " ثمنية ماي " وأبياتها خمسة وعشرون بيتا، وكذا " الأيام المرة " وأبياتها اثنان وخمسون بيتا.

الثاني: يخصصه لأحداث الحاضر، ويضمنه التذكير بالثورة والتضحيات الجسام، وهي كثيرة في ديوانه نعد منها مثلا " يا شباب " و " هادي أولف " و " تفكرت أيام " .

كما نلاحظ من ناحية أخرى أن النوع الأول يتفرع إلى قسمين: الأول يتناول فيه الثورة بوصفها حدثا وطنيا، فيذكر مآثرها وأبطالها الكبار الذين عرفنا بهم التاريخ، والثاني يخصصه للثورة الجزائرية كما تجسدت في الجنوب الجزائري عموما وفي توات والتيدكلك خصوصا بحكم موطن الشاعر.

## أ- الثورة التحريرية كحدث وطني:

في هذا النوع من القصائد يشكل الاستعراض التاريخي أهم مرتكز في بناء القصيدة، ذلك أن الشاعر يطلق العنان لعرض الأحداث الكبرى التي جسدها ثورة نوفمبر على امتداد سبع سنين، وربما استعرض الشاعر جزءا من التاريخ السابق لها، في شبه نشوة بالانتماء إلى أرض البطولة والتضحية.

يستهل الشاعر قصيدة "ثورة التحرير"<sup>15</sup> بمقدمة خاصة تحضيرها لما سيعرض من صور لأحداث كبرى ميزت ثورة التحرير، فيقول:

سال عنها يا من تسال السنين      وسال الأيام ماضيها أش هداها  
سال الجبال والمغارات دارين      وسال الوديان تعرفنا عاشرناها  
سال الليل والنجوم السطعين      أش مخبي أسرار كان حكاها  
فاتت سنين سوايعها منحوتين      كل دقيقة مرت بنا يا مغلاها

إن اختيار فعل الأمر (سال) مكررا دلالة على عظمة الشيء المسؤول عنه وهو هنا الثورة؛ وجعل السنين والجبال والمغارات والوديان والليل والنجوم شاهدة على تلك العظمة، وهي العناصر المختلفة التي لها رمزيتها الثورية، فالزمان بطوله رمز المعاناة، والمكان بصعوبته رمز القوة والحصانة، والكون رمز للشهادة على الأحداث التاريخية التي خط سطورها شعب جعل العزيمة والإيمان بالقضية حافزا للتحدى، بدءا من لحظة الغزو إلى لحظة النصر.

فعام ألف وثمانمئة وثلاثين      بورمت جا غضب أرضنا اداها  
تحداه بقوة سلمها داي حسين      وبعده أحمد باي المقاومة اداها  
فقسطنطينة قال للموت مستعدين      ولا سلطة فرنسا محال نرضاها

ثم يعرض سلسلة المقاومات الشعبية؛ من مقاومة الأمير عبد القادر مرورا بثورة الزعاطشة والشيخ بوعمامة في البيض، وجهود جمعية العلماء التنويرية وصولا إلى ثورة التحرير التي كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الجزائر.

نطقت جبهة التحرير وجيشها لمتين      فلقاء السنين وعشرين خيرة ابناها

واتفقت على أول نوفمبر كاملين يوم الاثنين الساعة صفر نبداها  
فألف وتسعمية وربعه وخمسين شاف المستعمر هزيمة ما فات راها  
كلمة السر عقبة وخالد صحابين والله أكبر الشعار الي واتاها<sup>16</sup>  
ويعضي مستعرضا أهم أحداث الثورة ومحطاتها مستعينا بذكر التواريخ،  
وبخاصة أحداث: 1955-1956-1958-1961-1962، في تعبير ملحمي  
حماسي، يناسب الذائقة الشعبية الميالة إلى عرض الأشياء وتسلسلها لتكون قريبة إلى  
الأفهام.

### ب- ثورة التحرير في الجنوب الجزائري :

لا ننكر أن ثورة التحرير كانت في أوج قوتها في مناطق الشمال أكثر منه  
في مناطق الجنوب لاعتبارات جغرافية واقتصادية وسياسية، غير أن ما شهدته مناطق  
الجنوب من أحداث ثورية وردود أفعال على جرائم الاستعمار لا يستهان به. وكان  
لشعراء الجنوب فضل كبير في لفت الانتباه إلى ذلك. فالشاعر عبد الله برمكي مثلا  
يشير إلى ذلك في قوله:

وفي بشار جبالها طلت بظلال لظفي لتاريخ خلا مقالة  
والهقار جبالها جبال التعوال والطاسيلي لهيه ناسو خصالة  
فالصحرا ورجالها ياسر لخصال رجال القمنة فالصحاري خيالة  
ناس على تيعاد لثورة مزال مزالو برودهم في شعالة  
عاهدنا لبلادنا ما فيه قوال كيما لول عاهدو ليه تواله  
أرحمهم هادوك زينين المنال الجنة وقصورها وماتالا

وكذلك الحال عند البشير مسعودي؛ ففي قصيدته "الأيام المرة"<sup>17</sup>  
يستعرض الشاعر وصول الاستعمار الفرنسي عام 1899 إلى أقصى الجنوب  
الجزائري، وخاصة عين صالح وتوات والهقار، مما استوجب التعبئة الشعبية لمقاومته،  
فيقول:

نتفكر ايام مرة بامرارها ايام الضيق والغيبنة والدخان  
 في تدكلت منين فرنسا جاتها غزات ارضها برور وبلدان  
 حملت كي الوديان عادت قواتها صدوها بصدورهم اولادها الشجعان  
 فالف وثمنمية وتسعة وتسعين غزاتها دخلوا لفقيقيرة غصوها الطغيان

ثم يبين الشاعر كيف زحف الاحتلال الفرنسي إلى باقي البلدات في الجنوب الجزائري مثل (أولف وتوات وأقبلي وتيط وتيميمون وشروين) التابعة إداريا لولاية أدرار، و(إنغر) التابعة لولاية تمنراست، وغيرها أعطى سكان المنطقة الفرصة لمأزرة إخوانهم في الشمال، وإعطاء الثورة الجزائرية صداها الحقيقي. فكانت المعركة الأولى بقيادة باجودة عام 1899، ثم معركة الدغامشة في الخامس من يناير عام ألف وتسعمئة بقيادة مولاي عبد الله الرقاني، وهما المعركتان اللتان تصدرتا المقاومة الشعبية في هذه المنطقة المعزولة آنذ عن بؤرة الاهتمام المكثف الذي شهدته مناطق الشمال، يقول الشاعر في ذلك:

وف عين صالح شحال ارواح أدواتها قلة العدة خانت د البـيزان  
 بقيادة أبا جودة وقف قدامها جيش تلقالها راكب الفرسان  
 فوق قصبة أبا جودة رفعت اعلامها منين قتلته هجمت منه كالبركان  
 طلبه بأولف الدعم جا برجالها وقصور توات عطات خيرة الشبان  
 وأقبلي وتيط دعمت بأفرس أولادها نجمعت ف إنغر وانطلقت الشجعان  
 خمسة جانفي المعركة بسدات ألف وتسعمئة تاريخ البديان  
 معركة الدغامشة ده هو نهـارها مولاي عبد الله الرقاني قاد الفرسان

ويعضي الشاعر على هذا النمط من التأريخ للأحداث والوقائع، فيتوقف حيننا عند أسباب النصر أو الهزيمة، وحيننا أخرى عند صفات الأبطال أو الأماكن أو القبائل، إلى أن يصل الشاعر وهو في غمرة ذكرياته إلى الإشارة إلى واحدة من أفضع الجرائم التي ارتكبتها فرنسا الاستعمارية ممثلة في التفجيرات النووية التي بدأت عام واحد وستين، فيقول:

فلواحد وستين جربت فينا سمها مية وخمسين راجل ربطتهم فالقضبان  
 وستفتهم والهوش وزادت حيوانها رحات كل شي راح مع الدخان  
 وأدت شنطيون فالي رشق علامها فحفرة القنبلة لسطه السرطان  
 لليوم راه يتبع حقوقه ما صابها وين الحضارة وين حقوق الإنسان؟  
 وجات خمسة يوليو فرجت غبانها واطلع علامنا يتبعها بألوان  
 تعد قصيدة (ثورة التحرير) واحدة من مفاخر شعر البشير مسعودي  
 الثورية، ليس فقط لطول نفس الشاعر فيها، بل أيضا لكثرة الأحداث التي سجلتها،  
 وغناها التصويري الذي يعبر عن صدق التجربة، وقوة الإيمان بالقضايا المطروقة.

### ج- الثورة في قصائد الواقع الحالي:

في هذا الجزء من بحثنا نولي صوب القصائد التي يخاطب فيها الشاعر  
 الإنسان الحاضر نصحا وتوجيها، أو تلك التي يتحدث فيها عن إنجازات الجزائر  
 المستقلة والمخاوف المحتملة من التفريط فيها بتقادم السنين والأجيال. فهي أمثلة  
 للحضور الثوري الجزائري، وكأنا يتخذ الشاعر مرجعية للتنبية والتصحيح كلما لاحظ  
 مشكلة هنا أو أزمة هناك يمكن أن ترقى إلى مستوى تهديد الوطن وإنجازاته الكبرى.  
 في هذا الإطار تأتي قصيدة " يا شباب"<sup>18</sup> التي يبينها الشاعر على جزئين:  
 في الأول يذكر الشباب الحاضر بتضحيات رجال ونساء الثورة، كونهم شبابا في  
 عمومهم، بل يذهب إلى بيان سن كل واحد منهم على سبيل الإقناع بأن جيل  
 الشباب هو الذي يملك سلاح الحسم في المواقف الكبرى، حتى وإن كان لا يستغني  
 عن حكمة الشيوخ وتوجيهاتهم وخططهم.

يا شباب نذكرك تدي العبرة بتضحيات لسلاف النور لمجاري  
 نتفكر صغار راحو يا حسرة غضبهم لاستعمار وهدم لقواري  
 كي صدوه وقلبوا ايـامه واجهم بالنار والقرطاس يشاري  
 واش قتل فصفوفهم عدة كثيرة كانوا ليه الضد ذكورة وحواري  
 منهم ديدوش مراد وأبطال أخرة فالثامن والعشرين عام نغضب الباري

ويذكر الشاعر ببقية الأبطال الذين صنعوا مجد بلدهم بدمائهم مثل  
سويداني بوجمعة وحسيبة بن بولعيد وعلي عمار وغيرهم كثير.  
في الجزء الثاني ينتقل بنا الشاعر إلى توجيه الشباب ودعوتهم للاقتداء  
بمؤلاء في حماية الوطن والذود عن مكاسبه، على اعتبار أن المجد لا تنفع ذكره إذا  
أضاع الأبناء مبادئه، أو تناسوا سننه ومتطلباته، فيقعون فريسة الضياع والتبعية.  
يقول في ذلك:

يا شباب اليوم بالك من لـعرة      شد فأرضك لا تخيب لي مقداري  
متن ليها الساس وازن الـعبيرة      وادي الراية راك تلحق القطاري  
داوم الخطوات وبالك الحـدرة      راودها بصواب يتعمـر القفاري  
وحد صفك لا تشتت النـظرة      تربط بماضيك وواصل المشواري  
ليد ف اليد كيف كان الأـسرة      ندبب بها حتى نـعلي لسواري  
بالك من السموم الضحك الـصفرة      وجناح الخيان تجنبه تحتـه لحفاري

ويأبى الشاعر في آخر النص إلا أن ينهيه متفائلا بمستقبل الجزائر كبادرة  
تحفيز للشباب على الاستماع لنصحه، وكأنه يتوقع تحصنهم ضد مكائد الأعداء  
على الرغم من تطلعاتهم إلى التجديد ومسيرة العصر اللذين يفرضان عليهم ككل  
شباب العالم أن يندمجوا في الرؤية العالمية للكون والأشياء، فيقول:

يا جزائر تدلعي وزيدي فخـرة      صفك راه متين ما صدعه اشواري  
وما يعزز هذا التفاؤل في نظر الشاعر، هو تمكن الشعب الجزائري من  
تجاوز تلك المحنة التي عاشها سنوات التسعينات، ففي قصيدة " تفكرت  
ايام"<sup>19</sup> وبعد تعداد مآثر ثورة نوفمبر وما خلفه الاحتلال الفرنسي من مآسي، يعرج  
على ما بات يعرف بـ"المأساة الوطنية" قائلا:

عشر سنين نداقت الأيام التنواح      أش خسائر عدوها الحاسبين  
رممنا تشاققها وبدا يوضحاح      منين مشينا بيها خير النجدين  
ناضو ليها اولادها كوادر اصحاح      وردوها لصوابها بيوم ويومين

ردوها بالحل وكثرة التلحاح حتى رجعت لايامها دوك الحلوين  
تحت ظل المصالحة ضرا وجناح دام الود ما بينا بأمن الحيين  
ونعيش الأيام الجاية نعمة وأنفاح ونمي احتياطها نخلص الدين  
ونبين مكانها تضرنا مصباح ما بين البلدان تعود فالأولين

إن الجمع بين الحدثين المتشابهين جزئيا في القتل والتخريب والمعاناة التي  
مست جميع فئات الشعب الجزائري قد أعطى القصيدة قيمتها الموضوعية، ذلك أن  
المقارنة التي يجريها القارئ بين الحدثين كفيلة بخلق جو من الحذر لديه من الانزلاق  
نحو المعاناة مستقبلا، وهو ما يؤدي من ناحية أخرى إلى تعزيز الروح الوطنية المطلوبة  
في كل خطوة تسعى لبناء وطن آمن ومزدهر.

خاتمة:

يحتفي الشعر الشعبي بثورة التحرير بشكل يجعل حضورها شبه دائم ولو في  
شكل إشارة عابرة، ذلك أن طبيعة الشعر الشعبي القريب من عامة الناس واللصيق  
بذاكرتهم ومآثرهم يجعل القصائد الثورية تحتل مكانا محترما عندهم، فالجزائري لم  
يستطع أن ينسى حقبة زمنية صعبة إن لم يكن قد مر بها هو فقد سمع عنها من أبيه  
أو قريبه أو قرأ عنها في كتب التاريخ أو في روايات البطولة وما أكثرها.  
ويمكننا أن نخرج من هذه الدراسة الموجزة بالنتائج الآتية:

- إن الشعراء الشعبيين الثلاثة الذين اختارهم الدراسة ينتمون إلى جيلين  
مختلفين، ولكنهم يحملون النظرة نفسها تجاه ثورة شعبهم سواء في  
ذلك من عايشها كالتومي سعيدان، أو من سمع وقرأ عنها كالمسعودي  
والبرمكي.
- إن الحضور الكلي أو الجزئي للثورة الجزائرية في القصيدة يمليه الموقف،  
فعادة ما يكون الأول مرتبطا بالمناسبات الوطنية، بينما يرتبط الثاني  
بالأحداث الاجتماعية والظواهر التي تسجل في سلوكيات الشباب  
على وجه الخصوص.

- الشعراء الثلاثة جميعهم ينتمون إلى منطقة الجنوب، وقد استطاعوا أن يضيفوا إلى ما نعرفه عن ثورة التحرير في الشمال صورا لها في الجنوب الجزائري، وهو الأمر الذي لا نجد شائعا على نطاق كبير عند القراء؛ وعلى الرغم من أن صورة الثورة لم تتغير، إلا أن ذكر الأماكن والأبطال وبعض الحثيات المرتبطة بالأحداث يجعلنا نجد في شعر هؤلاء إضافة محمودة تشعرنا بوحدة هذا الشعب وتوحد رؤاه.
- يعتمد شعر الثورة عند الشعراء الثلاثة على الطابع التصويري الاستعراضي، سواء تعلق الأمر بالعامل الزمني (مراحل الثورة والنضال)، أو بالنماذج التي يختارها الشاعر (الشهداء .. المعارك.. الأماكن الثورية..). وهو ما يجعل قصائده تتميز بالاسترسال والانسيابية تدفع القارئ إلى الشعور بالحماسة والنشوة والفخر بالانتماء إلى الوطن الذي احتضن هذه الأحداث.

### هوامش:

- <sup>1</sup> اسم يطلق على منطقة عين صالح وضواحيها.
- <sup>2</sup> انظر مقاله بعنوان " الدغامشة" في الشروق أون لاين على الرابط: <http://www.echoroukonline.com/ara/articles/227080.html>
- <sup>3</sup> ديوان مغذي الأرواح ومسلي الأشباح. 67. مطبعة عمار قربي — باتنة . (د.ت). نقل النص كما هو رغم بعض الركائكة في التعبير لكون الاهتمام وقتها كان على الفكرة أكثر من الأسلوب، ولكون الشاعر شعبيا، بل حتى مقطوعاته الفصيحة تعزيها ركائكة يعترف هو بها.
- <sup>4</sup> من حوار حكيم عزي لخضر عواريب في جريدة الشروق. انظر الرابط <http://www.echoroukonline.com/ara/articles/196954.html>
- <sup>5</sup> التومي الحاج سعيدان بن بلعالية ، واحد من أشهر شعراء الملحون بالجنوب الجزائري ، ولد عام 1922، بإنغر ولاية تمنراست، انخرط في العمل السياسي والحربي مند 1940 حين انضم إلى جمعية العلماء شعبة قسنطينة ، ثم انخرط في صفوف حزب الشعب عام 1950، عين عام



- 1957 عضوا في مكتب الخلية التابعة لجهة التحرير الوطني المكلفة بجمع المال والسلاح والمعلومات. له ديوان شعر جمع فيه عددا من الأغراض الشعرية المختلفة. توفي في جيلية 2014.
- 6 ديوان مغني الأرواح ومسلي الأشباح. 67.
- 7 المصدر نفسه. 43.
- 8 شاعر من أولف بولاية أدرار، بدأ مسيرته مع الشعر الفصيح عام 1992، ثم سرعان ما تركه لينظم في الملحون بدءا من عام 2002، تأثر بالقصائد المغناة شعبيا في منطقته، فأنتج مجموعة شعرية سماها (صور من الواقع على وقع المواجه) المطبوعة بدار المقامات - الجزائر.
- 9 عمر بوقرورة. دراسات في الشعر الجزائري . 74، دار الهدى - عين مليلة.
- 10 قصيدة مخطوطة حديثة لم تنشر بعد استلمتها من الشاعر عبر البريد الإلكتروني.
- 11 قصيدة مخطوطة حديثة استلمتها من الشاعر.
- 12 قصيدة مخطوطة حديثة استلمتها من الشاعر .
- 13 قصيدة مخطوطة حديثة استلمتها من الشاعر.
- 14 هو بشير بن أحمد مسعودي المعروف بالسوفي، من مواليد حي الركينة بأولف ولاية أدرار عام 1956، شاعر شعبي معروف بنشاطه الجمعي الكثيف، وبأشعاره الاجتماعية المنبثقة من احتكاكه بأطياف المجتمع المختلفة. يعرف فنيا بـ "تأبط شعرا" على شاكلة "تأبط شرا" الشاعر الجاهلي المعروف لحملة المستمر للشعر في ترحاله وزياراته لمختلف مناطق الوطن. له ديوان شعر من جزأين، من طبع دار الكتاب العربي 2008 و2014 .
- 15 البشير مسعودي. من درة القوافي للملحون الأولايي . 11-14 دار الكتاب العربي .
- 1 ط1 . 2008 .
- 16 المصدر نفسه. ص 11-14.
- 17 نفسه . 17 .
- 18 نفسه . 21
- 19 البشير مسعودي. حمة من حوض الشعبي. 14، دار الكتاب العربي . 2014.